سلسلة محاضرات البلاغة (علم المعاني) للمرحلة الثانية للدراسة الصباحية والمسائية

للعام الدراسي ٢٠١٨-٢٠١٩م

اعداد الاستاذ المساعد الدكتور مرتضى عبد النبي الشاوي

موضوع المحاضرة الأولى : مفهوم الفصاحة والبلاغة

الفصاحة لغة : البيان والظهور ، يقال : أفصح الصبي في منطقه ، إذا بان وظهر كلامه ، ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى (عليه السلام) : (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً) ، أي أبين مني منطقاً وأظهر مني قولاً .

وقال عليه الصلاة والسلام ((أنا أفصح العرب بيد أني من قريش)) فمعنى الفصاحة في الآية والحديث : الظهور والبيان

والفصاحة في الاصطلاح عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة ، المتبادرة إلى الفهم ، والمأنوسة في الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حسنها ، وهي تقع وصفاً للكلمة والكلام والمتكلم .

ما يوصف بالفصاحة :

فصاحة المفرد (الكلمة) وشروطه :

الكلمة الفصيحة هي الكلمة التي تخلو من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي أو الصرفي ومن الكراهة في السمع ، اشترط علماء البلاغة لفصاحة الكلمة أن تسلم من عيوب ثلاثة هي :

١-تنافر الحروف : وهو وصف في الكلمة ينشأ ثقلها على اللسان والسمع وهو نوعان :

أ-تنافر شديد ، كلفظ (الهعخع) في قول أعرابي سئل عن ناقته فقال :

((تركتها ترعى الهعخع)) وهو نبت ترعاه الإبل .

وكذلك كلمة (العقجق) و (الظش) و (الشصاصاء) ونحو ذلك .

ب-تنافر خفيف كلفظ ((مستشزرات)) في قول أمرئ القيس :

وفرغ يغشى المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل

غدائره مستشزرات إلى العلا تضلّ المدارى في مثنى ومرسل

غدائره مستشزرات : مرتفعات أو مرفوعات

وقول الشاعر المتنبي :

إن الكرام بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها

كلمة (سويداواتها) ثقيلة على اللسان بسبب طولها

٢-**مخالفة الوضع** : ومعناه أن تكون الكلمة مخالف لما ثبت من الواضع سواء أكانت مخالفة للقياس الصرفي أم لا فمدار المخالفة على ما ثبت عن الواضع ولكنه لم يخرج عن الفصاحة ما ثبت استعماله لدى العرب مخالفاً للقياس ولكنه فصيح .

ومثال مخالفة الواضع أي العرف العربي الصحيح والقياس الصرفي لفظ ((الأجلل)) في قول أبي النجم :

الحمد لله العلي الأجلل الواهب الفضل الكريم المجزل

فالوارد عن الواضع (الأجل) بالإدغام لا بالفك والقياس الصرفي يقتضي إدغام المثلين .

ومن ذلك لفظ لفظ (بوقات) في قول النبي يمدح سيف الدولة :

فإن يك بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول

القياس الصرفي يقتضي جمعه على أبواق لأن جمع المؤنث السالم له مواضع خاصة ليس هذا الاسم منها .

او كحذف النون من لكن في قول النجاشي :

فلست بآتيه ولا استطيعه ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل

أراد ولكن اسقني

او قول أبي عبادة :

يشق عليه الريح كل عشية جيوب الغمام بين بكر وأيم

فقد استعمل (الأيم) في مكان (الشيب) والأيم من لا زوج لها ولو كانت بكراً

٣-**غرابة الاستعمال** ، أي أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ، ويكون ذلك لسببين :

الأول : عدم تداول الكلمة في لغة العرب الخلص فيحتاج في بحثها الى بحث وتنقيب في معاجم اللغة كلفظ (جؤشوش) في قول البحتري :

فلا وصل إلا أن يطيف خيالها بنا تحت جؤشوش من الليل مظلم

ومعناه : القطعة من الليل .

ومن هذه الالفاظ (زرجون ، واسفنط وخندريس) التي تطلق على الخمر و (فدوكس وهرماس) على الأسد و(الحلقد) على سيء الخلق (والطرموق) على الطين و (الاستمصال) على السهال و (الإطرغشاش ، والإبرغشاش) على الشفاء و (الإبتشاك) على الكذب .

كقول الشاعر :

وما أرضى لمقلته بحلم إذا انتبهت توهمه ابتشاكا

الثاني : ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة ، كلفظ (مسرج) في قول رؤبة بن العجاج :

أيام أبدت واضحا مفلّجا أغرّ برآقاً وطرفاً أبرجا

ومقلة وحاجباً مزججا وفاحماً ومرسناً مسرّجا

فقد اختلف أئمة اللغة في تفسير هذه الكلمة :

١-قال بعضهم إن الشاعر اراد أن يشبه أنفها في الاستواء والدقة كالسيف السريجي ، أي منسوبة إلى حداد يقال له سريج يجيد صنعها

٢-قال بعضهم هو من السراج أي المصباح ، يريد أن يشبه أنفها في البريق واللمعان بالسراج .

كذلك الاشتقاق من الاسم الجامد على جهة التشبيه وهو وارد في كلام العرب كما في قول الشاعر :

وبرود مدنّرات وقزّ وملاء من أعتق الكتان

اي برود وشيها كالدنانير فاشتق من الدنانير (مدنّرات) على جهة التشبيه بها .

وكذلك كراهة السمع : أن تبرأ الأذن من سمع الكلمة كما في قول المتنبي :

مبارك الأسم أغرّ اللقب كريم الجرشيِّ شريف النسب

الجرشي : النفس فهذه الكلمة تأباها الأذن في هذا السياق وتنفر من سماعها لأن المقام مقام مدح

فصاحة الكلام وشروطه :

فصاحة الكلام : سلامته بعد فصاحته مفرداته مما يبهم معناه ، ويحاول دون المراد منه ، وقد اشترط علماء البلاغة لفصاحة الكلام أن يسلم من ثلاثة عيوب هي :

١-**تنافر الحروف** : هو وصف في الكلمات مجتمعة يوجب ثقلها على اللسان ، وعسر النطق بها ، وإن كانت كل كلمة منها على حدة لا ثقل فيها وهو نوعان :

أ-تنافر شديد كقول الأعشى :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلٌ شلولٌ شلشلٌ شولُ

وكقول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

٢-تنافر خفيف كقول أبي تمام :

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل منك إلا بالرضى

٢-**ضعف التأليف** : هو أن يكون في نظمه مخالفاً للشهور من قواعد النحو التي اعتمدها جمهور النحاة كالإتيان بالضمير متصلاً بع إلا ، وكعود الضمير على متأخر لفظاً وتبة . فمن الأول قول الشاعر :

ليس إلاك يا علي همام سيفه دون عرضه مسلول

ومن الثاني قول سليط بن سعد :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

فالضمير (بنوه) في المصراع الأول يعود على (أبا الغيلان) ، وهو متأخر في اللفظ ومتأخر في الرتبة ؛ لأنه مفعول به .

وكذلك قول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري أحضرَ الوغى وأن أشهدَ اللذات هل أنت مخلّدي ؟

حذف أداة النصب (أن) مع بقاء عملها في غير المواضع التي تضمر فيها وجوباً أو جوازا .

٣-**التعقيد** : هو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فيه ، وهو نوعان :

أ-التعقيد اللفظي : أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع في نظمه وتركيبه ، بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم أو تأخير أو حذف فمن ذلك قول الفرزدق مادحاً :

وما مثله في لناس إلا مملكاً أبو أمه حيّ أبوه يقاربه

ومعنى البيت ليس في الناس مثل ابراهيم أخ يشبهه في الفضائل والمكارم إلا ابن أخته الخليفة .

ب- التعقيد المعنوي : أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة إلى المعنى الثاني المقصود ، بحيث يكون إدراك

المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم ، يحتاج إلى تكلف وتعسف بسبب استعمال اللفظ في معنى خفي لزومه للمعنى الأول ، ومن ذلك قول العباس بن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

جعل سكب الدموع كناية عما يلزم في فراق الأحبة من الحزن والكمد ، فأصاب في ذلك ، ولكنه أخطأ في جعل جمود العين كناية عما يوجب التلاقي من الفرح والسرور بقرب أحبته وهو خفي وبعيد وجمود العين يكنى بها عن عدم البكاء حالة الحزن وليس عند العرب عند الدعاء لشخص بالسرور أن يقال له : جمدت عينك .

وكذلك قول الخنساء :

أعيني جوداً ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

وقول الآخر :

ألا إنّ عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود

ملاحظة :

وقد زاد بعض علماء البلاغة عيبين آخرين على العيوب الثلاثة المخلة بفصاحة الكلام وهما :

١-أن يكثر فيه التكرار

كقول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي

وقول الآخر :

وأزور من كان له زائراً وعاف عافي العرف عرفانه

كقول المتنبي :

وتسعدني في غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد

٢-تتوالى فيه الاضافات

وكقول ابن بابك :

حمامة جرعاً حومة الجندل اسجعي فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

أو قول ابن المعتز :

وظلت تدير الراح أيد جآذر عتاق دنانير الوجوه ملامح

والملاحظ أن هذين النوعين ليسا عيباً مخلاً بالفصاحة دائماً فقد لا يؤديان إلى الثقل ولا يخلان بالفصاحة بل يكسبان الكلام حسناً دائماً وقد ورد كل من التكرار والتتابع في القرآن الكريم ، وكان فيهما خفة وسهولة وطلاوة .

فصاحة المتكلم :

فصاحة المتكلم هي ملكة أو صفة قائمة في نفس المتكلم يستطيع بها أن يعبر تعبيراً صحيحاً عما يجول في خاطره من الأغراض ، وهذه الملكة تتكون بكثرة الإطلاع ، وطول الممارسة والثقافة الواسعة .

اذا تكتسب بكثرة المران والتدريب وقراءة التعبيرات الجيدة والأساليب الرفيعة

البلاغة لغة واصطلاحا

البلاغة في اللغة الوصول والانتهاء يقال بلغ فلان مراده إذا وصل إليه وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها أو شارف عليها ومنه قوله تعالى (فإذا بلغن أجلهنّ) أي قاربنه .

من هنا يلاحظ أن البلاغة في الاصطلاح يختلف معناها باختلاف موصوفها وهو الكلام والمتكلم يقال : هذا كلام بليغ وهذا متكلم بليغ ولا توصف بها الكلمة فلا يقال : هذه كلمة بليغة .

ما يوصف بالبلاغة :

بلاغة الكلام :

البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها .

والحال (المقام) : هو الأمر الذي يحمل المتكلم على أن يورد كلامه في صورة خاصة فالمدح مثلاً حال يدعو لإيرادها على صورة الإطناب ، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز فكل من المدح والذكاء حال ومقام وكل من الأطناب والايجاز مقتضى .

ومقتضى الحال : هو تلك الصورة الخاصة التي ورد عليها كلام المتكلم

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال : هي اشتماله على هذه الصورة الخاصة .

وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى

ومن هنا فإن البلاغة تقوم على الدعائم الآتية :

١-اختيار اللفظ الواضحة الجزلة والمعنى الجليل

٢-حسن التركيب وصحته

٣-اختيار الأسلوب الذي يصلح للمخاطبين مع حسن ابتداء وحسن انتهاء

٤-التأثير

فالبلاغة لا بد فيها من ذوق وذكاء بحيث يدرك المتكلم متى يتكلم ؟ ومتى ينتهي ؟ وما القوالب التي تصب فيها المعاني التي رتبها في نفسه .

وقد حفلت كتب الأدب بشواهد فيها فصاحة الكلمات وجودة السبك ولكن لم يراع فيها المقام الذي قيلت فيه فمثلا مدح جرير عبد الملك بن مروان بقصيدة مطلعها :

أتصحو أم فؤادك غير صاح غداة همّ صحبك بالرواح

فاستنكر عبد الملك هذا الابتداء وقال له : بل فؤادك أنت .

بلاغة المتكلم :

هي ملكة أو صفة قائمة في نفسه راسخة فيه يستطيع بها أن يؤلف كلاماً بليغاً في أي غرض يريده ، ويلاحظ أن البليغ يحتاج إلى :

١–الطبع والموهبة والذهن الثاقب والخيال الخصب وهذه صفات خلقية .

٢–الثقافة اللغوية والنحوية ومعرفة أحوال النفوس البشرية وطبائعها وإلمام بما يحيط به من البيئة الطبيعية والاجتماعية وهذه صفات مكتسبة .

اذاً هذه الملكة تتكون لديه بكثرة المران والقراءة ومعايشة التراكيب الجيدة والتعبيرات الرفيعة .